﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

بتاريخ [.....]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)

الخطبة الأولى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [الإسراء: ١١١]. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)﴾ [الفرقان: ٢]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، يكرم ويهين، ويبتلي ويعافي، ويُضحك ويُبكي، ويغني ويقني، فلا إله إلا الله ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. لا راد لقضائه، ﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١)﴾ [الرعد: ٤١]. وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته.

وبعد...

أيُها الإخوة، فحديثنا في هذا المقام -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- عن أسوتنا وقدوتنا محمد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، هذا النبي الكريم الذي أرسله الله رحمة للعالمين، حديثنا عن سيد ولد آدم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ونعمت الأسوة التي يؤتسى بها رسولنا محمد -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَّلَاةِ وَأَتَمُّ تَّسْلِيمَ-، حديثنا عن أول شافعٍ وأول

مشفع، عن صاحب الوسيلة والفضيلة، عن صاحب الحوض والكوثر -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، حديثنا عن صاحب الشفاعة العظمى بإذن ربه رسول الله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أول مَن تُفتَح له أبواب الجنة، يقول خازنها: «بكَ أُمِرْتُ لا أفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ». حديثنا عن هذا الرسول الكريم -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-.

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، قال عن نفسه: «إنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنانَةَ مِن ولَدِ إسْماعِيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنانَةَ، واصْطَفانِي مِن بَنِي هاشِمٍ». -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، أُصطفي من الخلق كلهم -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، بُعِث -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في خير البقاع مكة البلد الحرام، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- في شأنها: «واللهِ يا مكة إنك لأحبُ بلاد اللهِ إلى اللهِ وأحبُ بلاد اللهِ إلي، ولولا أن قَومكِ أخرجُوني منك ما خَرجتُ». أُرسِل إلى خير القرون، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لأصحابه: «إنكم توفون سبعينَ أمةً، أنتم خيرَها وأكرمَها على اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-». وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «خَيْرُ أُمتي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». أُنزِل عليه خير كتاب؛ وهو القرآن الكريم المهيمن على الكتب التي تقدمته، نزل به خير ملك؛ وهو جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، سيد الملائكة كما هو معلوم لديكم، لقد قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ وبشارةُ أخي عيسى، ورأت أُمِّي نورًا خرجَ مِنها أضاءَتْ لهُ أعناقُ الإبلِ ببُصرَى». قوله: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ». فإبراهيم دعا لمكة ولأهلها قائلًا: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [البقرة:

١٢٩]. وكذا فإنه بشارة عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، إذ قال المسيح -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. وقال أيضًا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ما قد سمعتموه: «ورأت أُمِّي نورًا خرجَ مِنها أضاءَتْ لهُ أعناقُ الإبلِ ببُصرَى».

وكما سلف فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أرسله رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ومنَّ الله عليه بالخلق العظيم إذ قال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾ [القلم: ٤]. وأرسله رسولًا مزكى في لسانه، وفي فؤاده، وفي بصره، وفي أذنه، وفي خلقه كما قد سمعتم زكى الله له قلبه، إذ قال في كتابه الكريم: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١)﴾ [النجم: ١١]. زكى الله لسانه فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤)﴾ [النجم: ٣-٤]. زكى الله له بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧)﴾ [النجم: ١٧]. زكى له أذنه فقال: ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]. فصلوات الله وسلامه عليه أفضل صلاةٍ وأتم تسليم. ونفى الله عنه ما يتهمه به أعداؤه، إذ اتهمه بعضهم بالجنون، قال تعالى مدافعًا: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ (٢٩)﴾ [الطور: ٢٩]. وصفوه بالكذب على الله، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦]. نفى الله عنه التهمة والبخل، إذ قال: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)﴾ [التكوير: ٢٤]. أي: وما هو ببخيل فيما يخبركم به بما يقرب من الجنة، وليس بمتهم أيضًا فيما يخبركم به. صلوات الله وسلامه على هذا النبي الكريم الأمين.

لقد كان يعرف للناس أقدارهم، وينزل الناس منازلهم -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، كان ينزل الناس منازلهم، ففي عام الفتح وكان قد تأخر إسلام أبي قحافة والد أبي بكر الصديق، فجاء أبو بكر بأبيه إلى رسول الله كي يبايعه على الإسلام، فقال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- منزلًا لأبي بكر منزلته: «يا أبا بكرٍ لو أَقْرَرْتَ الشيخَ في بيتِه لأتَيناه تَكرِمَةً لأبي بكرٍ». وقال أيضًا في شأن أبي سفيان لما أسلم: «مَن دخل المسجدَ فهو آمنٌ، ومَن أغلق بابَه فهو آمِنٌ، مَن دخل دارَ أبي سفيانَ فهو آمِنٌ». قال أيضًا في إنزال سعد بن معاذ منزلته لما جاء كي يحكم في بني قريظة، قال النبي للأنصار: «قوموا إلى سيِّدِكم». وكذلك أنزل عثمان منزلته فقال: «ألَا أستحي مِن رجُلٍ تستحي منه الملائكةُ». وكان ينزل الصغار أيضًا منازلهم -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، فكان يذهب إلى أخ لأنس بن مالك يُقال له أبو عمير له طير يلعب به اسمه النغير، فيداعبه كل يوم قائلًا: «يا أبا عُميرٍ، ما فعل النُّغيرُ».

وهكذا فإن الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كان يدخل على عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- وهي صغيرة وعندها جويريات، صاحبات لها يلعبن معها بالبنات، أي: بالعرائس المصنوعة من العهن. فإذا دخل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- انقمعن، أي: اختفين. قالت: «فيسربهن إليّ النبيُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيلعبن معي». قالت: «فاقْدُرُوا قَدْرَ الجارِيَةِ الحَدِيثَةِ السِّنِّ، الحَرِيصَةِ علَى اللَّهْوِ». بل كان -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يضع خدها على خده، ويجعلها تنظر من شق الباب إلى الأحباش وهم يلعبون في المسجد قائلًا: «يا حُمَيْراءُ، تشتهين تنظرين». -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- كان يقابل الصبيان فيسلم عليهم، وتتلقاه نسوة الأنصار وأطفال الأنصار في مرجعه من الغزوات فيقول لهم ممتنًا: «واللهِ إنكم لمِن أحَبِّ النَّاسِ إلَيَّ». -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ولقد قال: «ليسَ منَّا

مَن لم يُوَقِّرْ كبيرَنا، وليسَ منَّا مَن لم يرحمْ صغيرَنا». فكان يوقر الكبير، جاءه رجلان يتكلمان، فتكلم الأصغر، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- له: «كبِّر كبِّر». أي: يبدأ الأكبر في الحديث. وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «رأيتني أتَسَوَّكُ فَجَاءَنِي رَجُلَانِ، فَدفعتُ السِّواكَ إلى الأصْغَرَ منهما، فقِيلَ لِي: كَبِّرْ كَبِّرْ». فكان يأمر بتوقير الكبير، وكان يكبر الكبير -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ينزله منزلته، ومع ذلك وكما سلف يشفق على الصغير، ويحنو عليه، قال: «إنِّي لأدخلُ في الصلاةِ أريدُ إطالتها فأسمعُ بُكاءَ الصَّبيِّ فأخففُ من شِدةٍ وجد أمُّهُ عَليه». وكان يحمل أمامة بنت ابنته زينب وهو يصلي، فإذا سجد وضعها، وإذا قام رفعها، وأتاه الأقرع بن حابس التميمي فرآه يقبل حسنًا أو حسينًا، فقال: «يا محمد، أتقبلون صبيانكم يا محمد؟ والله إن لي عشرةً من الولدِ ما قبلتُ واحدًا منهم. قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: وما أملِكُ لك إنْ كانَ اللهُ قد نزَع الرَّحمةَ مِن قلبِك».

وكان رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحث على الرفق ويأمر به، فيقول: «ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زانَه، وما نُزِعَ من شيءٍ إلَّا شانَه». ويقول: «إذا أرادَ اللهُ بأهلِ بيتٍ خيرًا أدخلَ عليهِمُ الرِّفقَ، وإذا أرادَ بهم شرًا حُرِموا الرِّفْقَ». كذا كان يقول النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ويأمر بالتواضع وخفض الجناح كما أمره الله، إذ الله قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ [الحجر: ٨٨]. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)﴾ [الشعراء: ٢١٥]. وكان يقول -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «لقد أُوحيَ إليّ أن تواضَعوا حتى لا يفخرَ بعضكم على بعضٍ». كذا كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول لأصحابه، ويعلمهم أيضًا قائلًا: «ما زادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلَّا عِزًّا، وما تَواضَعَ أحَدٌ للهِ إلَّا رَفَعَهُ

اللهُ». فكان يحث على التواضع، ويحث على الرفق، ويحث على الرحمة بالصغير وعلى توقير الكبير.

وكذا فإنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- يحث حتى على الرحمة بالحيوانات، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد قيل له: «وإن لنا في البهائمِ لأجرًا يا رسولَ اللهِ؟ قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: لك في كُلِّ ذات كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ». وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «خرجت امرأة من البغايا فمرت على كلبٍ يَلهثُ مِن العطشِ، فنزعت موقَها». يعني: خفها «ونزلت البئرَ فملأته له وأتته به فشكرَ اللهُ لها صنيعها، فغفرَ اللهُ لها». فكان -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- رحيم حتى بالدواب، أتى جمل إليه فرغى أمامه رغوات، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وقد رأى عيني الجمل تذرفان فقال: «مَن صاحب هذا الجمل؟ ألا تتقي الله في هذه البهيمةِ؟ قد شكا إليّ جملُك أنك تُجيعُه». كذا قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-، فكان رحيمًا -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَّلَاةِ وَأَتَمُّ تَّسْلِيمَ-.

وكان حييًا يحث على الحياء، ويأمر به، «كان أشدَّ حياءً من العذراءَ في خِدْرِها -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-». ويحث على الحياء قائلًا: «الحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ». «إنَّ الحياءَ لا يأتي إلَّا بخَيرٍ». «إنَّ ممَّا أدرك النَّاسُ من كلامِ النُّبوَّةِ الأولَى: إن لم تستحْ فاصنَعْ ما شئتَ». كل هذا فضلًا عن كرمه، وعن شجاعته، وعن أدبه الكريم، وخلقه القويم -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَّلَاةِ وَأَتَمُّ تَّسْلِيمَ-، لقد أيده الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالمعجزات التي تؤيد وتؤكد أنه رسول من عند الله، أيده الله بأعظم معجزة؛ وهي القرآن الذي فيه أمر بكل خيرٍ، ونهي عن كل شر، وإرشاد إلى كل جميل، وإبعاد عن كل قبيح، يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، ولقد قال الله تعالى في

كتابه الكريم: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦)﴾ [الجاثية: ٦]. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]. وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «ما مِنَ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبياءِ إلَّا وقد أُوتيَ ما على مِثْلُهُ آمَنَ البَشَرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليَّ، أرْجُو أنْ أكُونَ أنا أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ». فإذا تدبرت القرآن تلك المعجزة الباقية، ترى تلك الآية الباقية، تراه أعظم آية أوتاها نبي؛ فالآيات انتهت بموت الأنبياء وكانت في حياتهم، بل انتهت بانقضائها، أما رسول الله فالقرآن الذي أوتاه ما زال يُتلى دالًا على نبوته، دالًا على صدقه، دالًا على رسالته.

إذا تأملت التشريعات وجدتها أحسن التشريعات، لا تكليف فوق الطاقة، ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]. ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤]. ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]. وفي الحديث: «صلِّ قائمًا، فإن لم تستَطِع فقاعدًا، فإن لم تستَطِع فعلَى جنبٍ».

وهكذا تتوالى نصوص رفع الحرج عن هذه الأمة المباركة أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ذلكم الرسول الكريم، وأُويد أيضًا بمعجزات أخر، سأله أهل الشرك آية فانشق القمر، قالوا: أئتِ بمعجزة من المعجزات، فكل نبي أتى بمعجزةٍ. فقال: انظروا. شق القمر فرقة على هذا الجبل وفرقة على ذاك، فقالوا: إن يسحرنا محمد فلن يسحر الكفار، فانتظروا قدوم المسافرين، واسألوهم هل رأوا القمر منشقًا؟ فأتى المسافرون

وأخبروهم أن القمر قد انشق، وحددوا الليلة التي حدث فيها الانشقاق، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢)﴾ [القمر: ١-٢]. وكذلك وقد انشق القمر له -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حن الجزع إليه أيضًا أمام ملأ الصحابة كلهم أجمعين، فكان يخطب يوم الجمعة على جذع نخلة، ثم رأى أن من الأمكن أن يقف على منبر، فأمر امرأة من الأنصار أن تأمر غلامها النجار أن يصنع له منبرًا أو أعوادًا يقف عليها، فصنع النجار المنبر، فانتقل إليه النبي وترك الجزع، فما زال الجزع يحن ويئن لفراق النبي محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وسُمِع له صوت مرتفع في كل أرجاء المسجد كصوت العشار بكاء وحنين، وما سكن حتى نزل النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- من على المنبر فاحتضنه، وسكنه رويدًا رويدًا حتى سكن تمامًا كما يُسكَن الصبي الصغير، تسكنه أمه، يسكن شيئًا بعد شيءٍ أمام ملأ الصحابة كلهم، إن قلت: كيف ذلك؟ فجوابنا أن الله على كل شيء قدير، وأنه إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

نعم لقد انشق له القمر، وحن له الجذع، وأقبلت الأشجار إليه، وانشقت بين يديه، وجاء الجمل ورغى رغوات ودمعت عيناه، فقال النبي لصاحبه: «ألا تتقي اللهَ في هذه البهيمةِ؟». بل والأحجار قال فيها الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إني أعلمُ حجرًا بمكة كان يُسلمُ عليّ، إني أعرفُه الآن». لقد نبع الماء من بين أصابعه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وبُورك له في الطعام القليل الذي لا يكاد يكفي الاثنين أو الثلاثة كفى المئات من الناس، والماء القليل الذي لا يكفي إلا اثنين أو ثلاثة يضع النبي يديه فيه فيكفي آلافًا من الناس كما حدث يوم الحديبية، وقد كفى الماء القليل ألفًا وخمسمائة من أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

لقد جُعِلت الذلة والصغار على من خالف أمره، قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)﴾ [النساء: ١١٥]. لقد كان ثم رجل نصراني أسلم، وكان يكتب لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فكتب ما شاء الله أن يكتب، وبعد ارتد وانتكس، فقال: ما يدري محمد إلا ما كتبت له. فبعد مات، فلما مات أتى أصحابه لدفنه، فدفنوه فأصبحوا وقد لفظته الأرض، قالوا: هذا فعل محمد وأصحاب محمد. أعمقوا الحفر، ودفنوه، فأصبحوا وقد لفظته الأرض، قالوا: هذا فعل محمد وأصحاب محمد. فأعمقوا، وأعمقوا، وأعمقوا، فدفنوه، فأصبحوا وقد لفظته الأرض، فعلموا أن هذا ليس من فعل رسول الله، بل الأرض رفضت أن تقبل جسمه بتقدير من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فتركوه بلا دفن في باطن الأرض إلى أن فني.

وهكذا تتوالى العقوبات لكل من عاند أمر النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فلما عانده أبو جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، وغيرهم، وألقوا على ظهره سلا الجزور وهو يصلي، انتهت صلاته، ورفع يديه متجهًا إلى البيت قائلًا: «اللهم عليك الملأ من قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبي جهل بن هشام والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف. وعد عشرة قال ابن مسعود: فوالله لقد رأيتهم صرعى، كلهم قتلى يوم بدر، وسُحِبوا إلى قريب منتن مخبث قريب بدر، فوقف النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، يناديهم: يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا فلان، ويا فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني ربي

حقًا. قال عمر: أتنادي جيفًا يا رسولَ اللهِ؟ قال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. يقول قتادة: أحياهم الله له».

وهكذا تتوالى العقوبات على من خالف أمر الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، قد أرسل الرسول أحد أصحابه إلى جبار من جبابرة العرب وفرعون من فراعنتهم يدعوه إلى الإسلام، فقال ساخرًا لرسول رسول الله: إيش ربك هذا الذي تدعوني إليه؟ أمن ذهب هو؟ أم من نحاس هو؟ أم من فضة هو؟ أم من زبرجد هو؟ إيش ربك هذا؟ فرجع الرسول إلى رسول الله، أخبره، فرده النبي ثانية فقال مثل مقولته الأولى، فرده ثالثة فقال مثل مقولته الثانية والأولى، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، ونزلت الآية: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣)﴾ [الرعد: ١٣].

إن رسولنا الأمين قال لشخص: «كلْ بيمينك». إذ كان الرجل يأكل بشماله، قال: لا أستطيع. دعا عليه النبي لما علم أن المانع له الكبر «لا استطعت قال: فما رفعَها إلى فِيه». قال العلماء: شُلَت يده، لم يستطع أن يرفعها إلى فمه ثانية، وسعيد بن المسيب يقول جاء جدي حزن إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال له النبي: «ما اسْمُكَ؟ قالَ: اسْمِي حَزْنٌ. قالَ: بَلْ أنْتَ سَهْلٌ. قالَ: لن أغير اسْمًا سَمَّانِيهِ أبِي. قالَ سعيدُ: فَما زَالَتْ الحُزُونَةُ فِينَا». أي: ما زلنا نحزن دائمًا «ما زَالَتْ الحُزُونَةُ فِينَا». وهذا بسبب عدم الامتثال لمقولة رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

وعد النبي أعرابيًا قد اشتدت به الحمى، فقال له النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لا بَأْسَ طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللهُ». فقالَ الرجلُ كأنه لم يعجبه كلامَ النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ-، قالَ: «بَلْ هي حُمَّى تَفُورُ، علَى شيخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرَهُ القُبُورَ. فقالَ النبي: فَنَعَمْ إذًا». أي: ما دمت اختارت هذا «بَلْ هي حُمَّى تَفُورُ، علَى شيخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرَهُ القُبُورَ. قالَ: فَنَعَمْ إذًا». فمات بعد قليل من جراء هذا، فالذي يخالف أمر الرسول وهدي الرسول شأنه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (٢٠)﴾ [المجادلة: ٢٠].

فعليكم أيُها الكرام بطاعة النبي الأمين -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَّلَاةٍ وَأَتَمُّ تَّسْلِيمَ-، صاحب الوسيلة والفضيلة، صاحب الحوض والكوثر، صاحب الشفاعة العظمى، أول شافع، أول مشفع، ألا فسلوا ربكم أن يشفعه فيكم، وأن يلحقكم به.

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

أيُها الإخوة، ومن الواجب علينا تجاه هذا الرسول الكريم السمع له والطاعة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء: ٦٤]. وقال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧١]. فواجبنا نحوه السمع والطاعة له، ولقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. واجب علينا أن نتبع هذا النبي الكريم سامعين له مطيعين، ولقد قال تعالى أيضًا: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾ [الأحزاب: ٥٦]. فحق له علينا أن نصلي عليه، وقد قال: «مَن صلى عَلَيَّ واحدةً، صلى اللهُ عليه بها عَشْرًا». وقال: «البخيلُ مَن ذُكِرْتُ عندَه ثم لم يُصَلِّ عليَّ». قال: «ما مِن مسلمٍ يسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللهُ عليَّ روحي حتَّى أردَّ عليهِ السَّلامَ». قال: «إنَّ للهِ ملائِكةً يبلِّغوني مِن أمَّتي السَّلامَ». ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

امتثلوا أمره، واتبعوا سنته ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ [النور: ٦٣]. ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. لقد أمر الله -عَزَّ وَجَلَّ- باتباع هذا الرسول الكريم، وجعل الله سنته مبينة للكتاب العزيز ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ [النحل: ٤٤]. فسنة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- توضح ما أُشكل وما أُجمل من آيات الكتاب العزيز في كل الأبواب، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]. كيف نصلي؟ بُين ذلك بالسنة، كيف نزكي؟ بُين ذلك بالسنة، كذلك أمور الزواج والأنكحة، ثمة أنكحة حرمها الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ولم تأتِ منصوصًا عليها في القرآن، لكن جاء نص عام ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾. من ذلك نكاح التحليل للمرأة التي طُلِقت ثلاثًا وجاء شخص يتزوجها لا بقصد المعيشة، إنما بقصد التحليل، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لَعَنَ اللهُ الْمُحِلَّ والْمُحَلَّلَ لَهُ». نكاح

الشغار أن تقول لشخص: زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي، زوجني أختك وأزوجك أختي، ليس بينهما صداق، نهى النبي عن الشغار -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَتَمُّ تَسْلِيمَ-.

نهى عن الجمع بين المرأة وعمتها، والجمع بين المرأة وخالتها، وليس هذا بمنصوصٍ عليه في الكتاب العزيز إلا تحت نص العام ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. ونحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]. ألبسة قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]. لكن نُهي الرجال عن التزين بالذهب وعن التزين بالحرير بالسنة، إذ النبي قال وقد حمل الذهب في يد والحرير في أخرى، قال: «إنَّ هذَينِ حَرامٌ علَى ذُكورِ أمَّتي». وفي بعض الروايات وهي مفهومة: «حِلٌّ لإناثِهم». كذلك في باب المحرمات من الأطعمة، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. لكن زيد على هذا بالسنة أن الله حرم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير زيد بالسنة تحريم الحمير؛ فإن النبي نهى عن لحوم الحمر الأهلية عام خيبر.

زيدت أمور شتى بأحاديث رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فالحاصل أن سنة النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مبينة للقرآن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]. ما أذكار الصباح؟ ما أذكار المساء؟ ما أذكار الطعام؟ ما أذكار ركوب الدابة؟ كل ذلك بينته سنة رسول الله -

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- خير بيان، وأجمل بيان، وأتم بيان، فالمُجمَل من الكتاب بالعزيز فُصِل وفُسِر بسنة النبي محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، الدية قدرها كم؟ ما بُين بالكتاب العزيز مقدار الدية، ولكن بُين ذلك بسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإجماعات المسلمين، وهكذا سائر الأمور كلها التي أُجملت في كتاب الله بينها رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فحق علينا أن نتبع رسولنا محمدًا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ولزامًا علينا أن نتبع هذا النبي الكريم خير أسوة وخير قدوة.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ [الأحزاب: ٢١]. لقد قال تعالى ما قد سمعتم: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾. ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾. وتتوالى الآيات للحث على اتباع سنته فليس الأمر مع رسولنا أن نحتفل له بمولد محدث لم يصنعه الصحابة ولا التابعون، ونشتري الحلوى، وفي نفس الوقت ترقص الراقصة وهي تحتفل بمولد الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، أو تُغني المغنية، أو يعزف الموسيقار وهو يحتفل بمولد رسول الله تاركًا السنة وراء ظهره، وإنما يغني فقط باسم رسول الله دونما اتباع له ودونما استقامة على أمره.

فالله الله في هذا الرسول الكريم الذي أرسله الله تعالى لإنقاذنا على فترة من الرسل، وصدق النبي إذ قال: «ألا وإني آخُذُ بحُجْزِكُمْ أن تتساقطوا في النارِ». بعد أن قال: «مثلي ومثلُكم كمثلِ الفراشِ». يعني: الذي يحوي حول النار كي يسقط فيها «وأنا آخُذُ بحُجْزِكُمْ أن تتساقطوا في النارِ». أو كما قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فالنبي يمنعنا من النار، ويأخذ بحواجزنا أي: بمعقد الإزار منا كي يمسكنا خشية أن نقع في النار، لكن كثيرون يصرون

على عناد الرسول، ويريدون الانفكاك عنه، ويتساقطون في النار بمخالفته ومخالفة سنته -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَّلَاةِ وَأَتَمُّ تَّسْلِيمَ-.

اللهم ارزقنا حبك وحب رسولك الكريم، اللهم ارزقنا حبك وحب رسولك الكريم، اللهم ارزقنا حبك وحب رسولك الكريم، وارزقنا الامتثال لكتابك ولسنة نبيك الأمين، ولا تؤاخذنا بجهلنا، وتقصيرنا، وعجزنا، وضعفنا، يا رب العالمين صلِّ على رسولك أفضل صلاة وأتم تسليم، وألحقنا به وبمن أنعمت عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، اللهم ألزمنا اتباع السنة واجعلنا لا نخشى فيك لومة لائم يا رب العالمين، قوي إيماننا، وارفع درجاتنا، وعظم أجورنا يا ربنا يا رب العالمين، اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وفك أسرانا وأسرى المسلمين، واقضِ الدين عنا وعن المدينين أجمعين يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك الفردوس، اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أعلى جنة الخلد، اللهم يا ربنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، نعوذ بك يا ربنا أن تتلوث أيدينا بدماء مسلمة أو ببطش بمسلم في غير محله يا رب العالمين، ونعوذ بك يا رب أن تزل ألسنتنا، نعوذ بك من زلل الألسن، ونعوذ بك من أن نقترف على أنفسنا سوءً أو نجره إلى مسلم من المسلمين يا رب العالمين، احفظ علينا إيماننا، وعقولنا، وديننا، واحفظ علينا بلادنا، وأخوتنا الإيمانية يا رب العالمين، احفظ علينا وصل الأرحام، والصلاة بالليل والناس نيام، وبر الوالدين، وحسن الجوار يا رب العالمين، ألا وصلوا وسلموا على نبيكم محمد -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَّلَاةِ وَأَتَمُّ تَّسْلِيمَ-.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=٠١GhD٣sC_m٠&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=١٦٢

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share